

المكتبة الخضراء للأطفال
١٧
DVD4ARAB
المغامر الجرىء
DVD4ARAB
قصص
Stories
بقلم: عادل الغضبان
دار المعارف

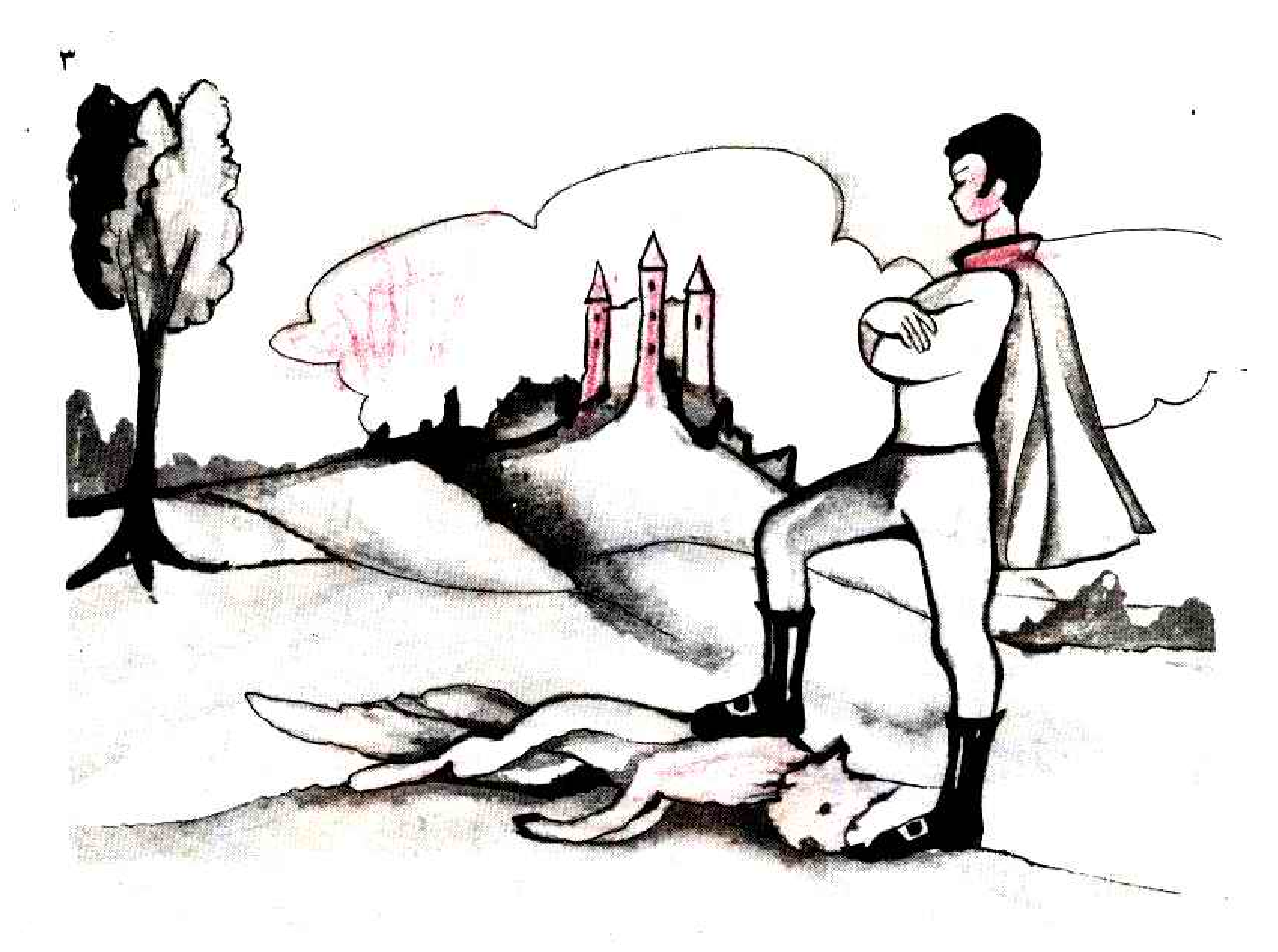
المكتبة الخضراء للأطفال

١٧



بقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة عشرة



كَانَ فِى سَالِفِ الزَّمَان ، عَظِيمٌ مِنَ الْعُظَمَاءِ يَعِيشُ فِى قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَاطِئِ الْبَحْر ، وَيَمْتَلِكُ فِيهَا الْمَزَارِعَ الْوَاسِعَةَ الْجَمِيلَة .

وَكَانَ لِهٰذَا الْعَظِيمِ ابْن بَهِىُّ الطَّلْعَة ، ذَهَبِىُّ الشَّعْر ، مَمْشُوقُ الْقَامَة ، مَفْتُولُ السَّاعِدَيْنِ اسْمُهُ « أَنْوَر » ، وَلٰكِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَضَافُوا إِلَى اسْمِهِ لَقَبَ « شُجَاع » ، فَقَدْ رَأَوْهُ يَوْمًا وَهُوَ

بَعْدُ فِي الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، يَهْجُمُ عَلَى ذِئْبٍ ضَخْم ، وَيَكِيلُ لَهُ الضَّرَبات بِفَأْسٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ ، حَتَّى سَقَطَ الذِّئْبُ قَتِيلًا .

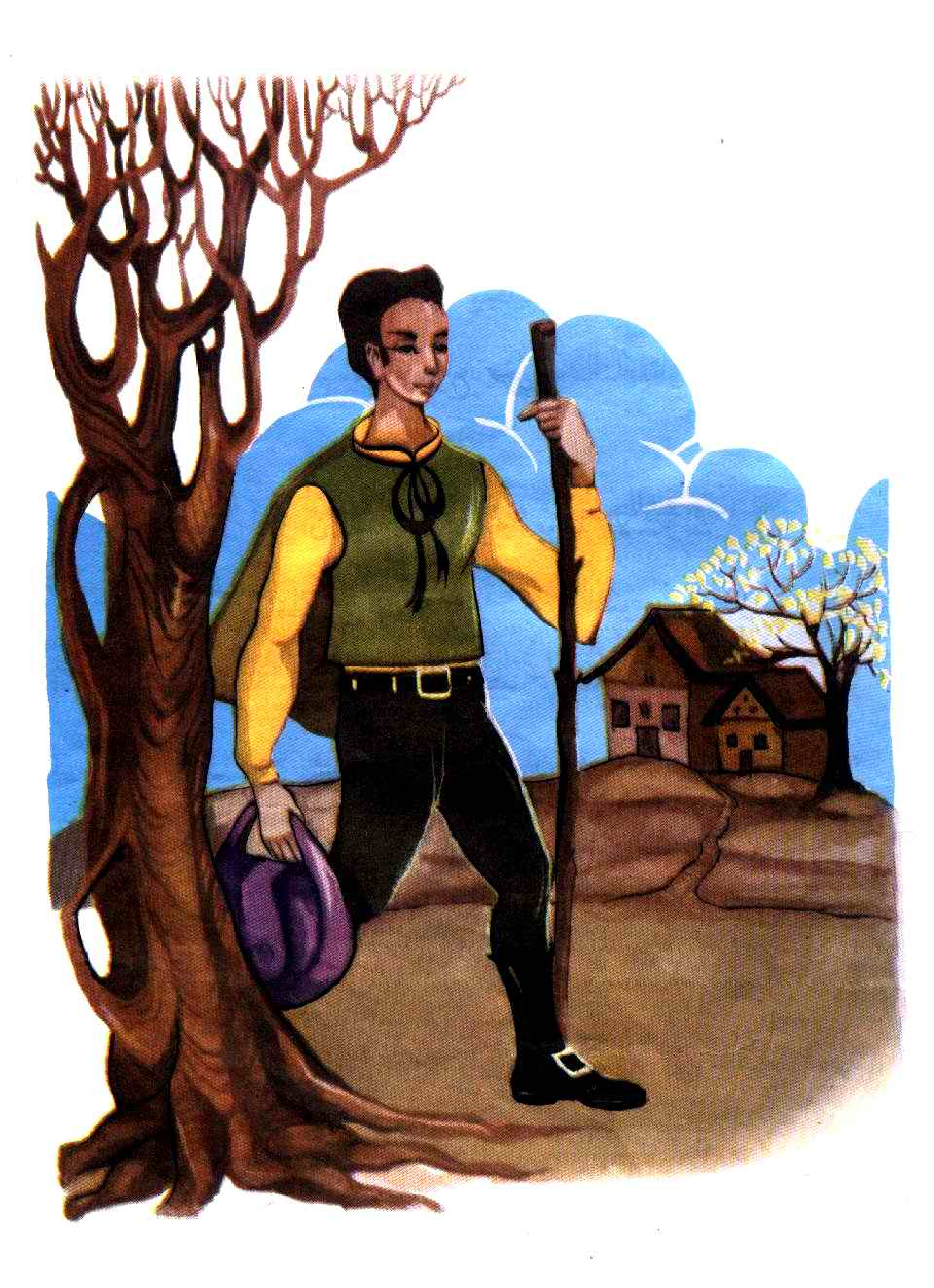
لَبِسَ أَنْوَرُ ذَاتَ صَبَاحٍ مَلَابِسَ السَّفَر ، وَدَخَلَ عَلَى وَالِدِهِ ، وَرَكَعَ أَمَامَهُ وَقَال :

– « يَا سَيِّدِي وَأَبِي ! لَقَدْ بَلَغْتُ الْيَوْمَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي ، وَأَوَدُّ لَوْ أُجَرِّبُ حَظِّي فِي الْحَيَاة ، فَأْذَنْ لِي فِي الرَّحِيلِ مُزَوَّدًا بِبَرَكَتِك » .

فَأَثَّرَ هٰذَا الْكَلَامُ فِي نَفْسِ أَبِيه ، وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ شُعُورَهُ وَقَال :

– « إِنَّكَ لَعَلَى حَقٍّ يَا وَلَدِي ، فَمَا كُنْتُ لِأَحُولَ دُونَ رَغْبَتِكَ وَطُمُوحِك ، فَسِرْ تُرَافِقْكَ بَرَكَتِي وَدَعَوَاتِي » .

تَهَلَّلَ وَجْهُ أَنْوَر سُرُورًا ، وَوَدَّعَ الْأَهْلَ وَالْأَتْبَاع ، ثُمَّ غَادَرَ



الْقَصْر ، وَانْطَلَقَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ مُبْتَهِجَ الْفُؤَاد .

وَاسْتَمَرَّ يَسِيرُ فِي رِحْلَتِهِ مُتَنَقِّلًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ مُدَّةَ ثَلَاثِ سَنَوات ، وَلَمْ تَخْلُ رِحْلَتُهُ هٰذِهِ مِنْ أَشْرَارٍ تَعَرَّضُوا لَه ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ فِي صِرَاعٍ خَرَجَ مِنْهُ تَارَةً غَالِبًا وَطَوْرًا مَغْلُوبًا .

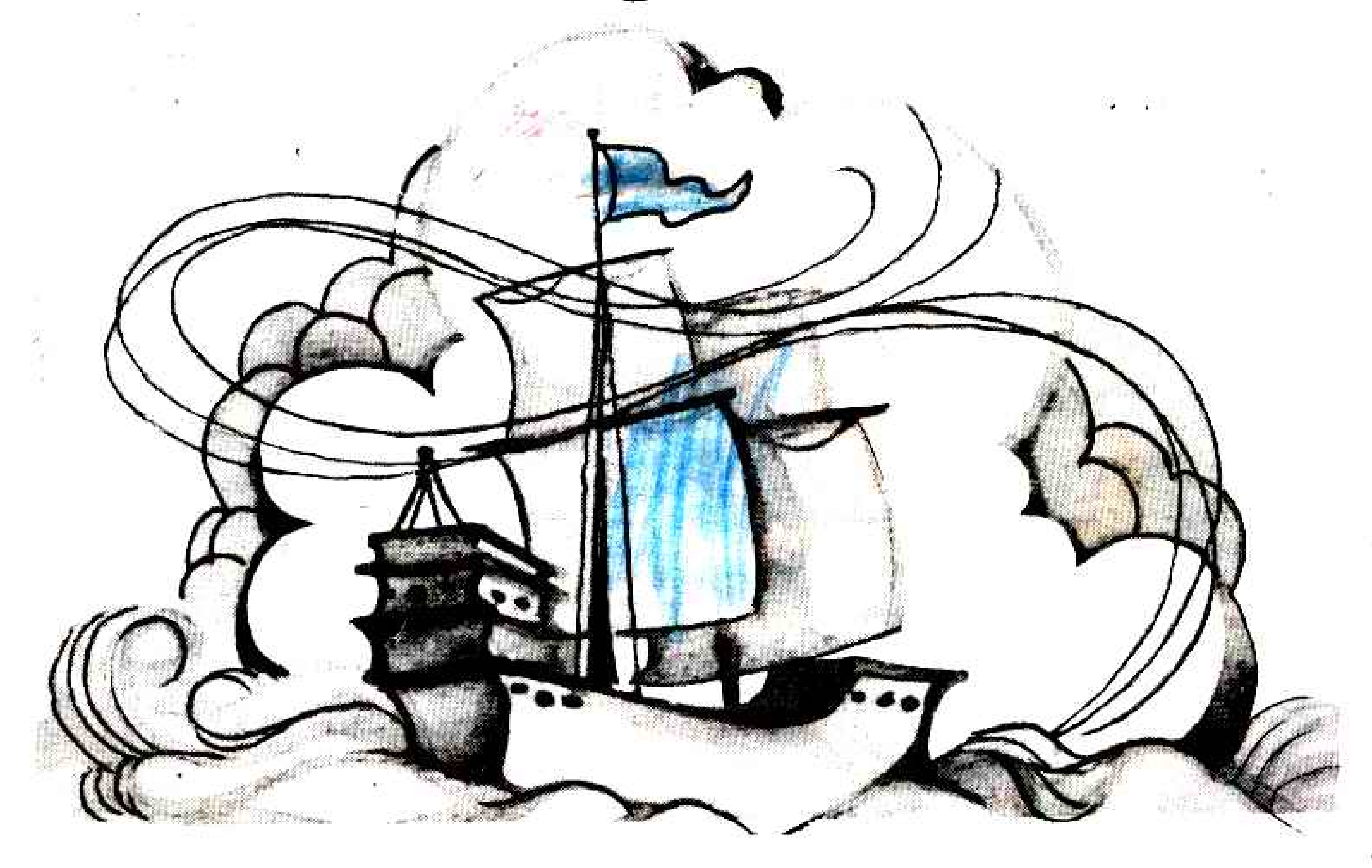
وَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ يَوْمًا الاِشْتِرَاكُ فِي حَمْلَةٍ بَحْرِيَّة ، هَدَفُهَا تَأْدِيبُ جَمَاعَةٍ مِنْ لُصُوصِ الْبِحَار ، فَقَبِلَ رَاضِيًا ، وَاتَّخَذَ مَكَانَهُ مِنَ السَّفِينَة، فَسَارَتْ لَيْلًا تَمْخُرُ عُبَابَ الْمَاء ، فِي رِيحٍ هَادِئَة، وَمَوْجٍ سَاكِنٍ، وَسَمَاءٍ مُرَصَّعَةٍ بِالنُّجُوم ، وَلٰكِنْ أَظْلَمَ الْجَوُّ فَجْأَة ، وَعَصَفَتِ الرِّيَاح ، وَثَارَتِ الزَّوَابِع ، فَارْتَطَمَتِ السَّفِينَةُ بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ كَسَرَتْ أَلْوَاحَهَا، وَحَطَّمَتْ هَيْكَلَهَا ، فَابْتَلَعَهَا الْبَحْرُ بِمَنْ عَلَيْهَا .

أَمَّا صَاحِبُنَا أَنْوَر ، فَقَدْ قَذَفَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْر،

فَسَبَحَ وَسَبَحَ عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَلَاحَتْ لَهُ بُقْعَةٌ سَوْدَاءُ غَيْرُ بَعِيدَةٍ مِنْه ، وَكَانَتْ إِحْدَى الْجُزُر ، فَاسْتَجْمَعَ قُوَاهُ وَنَزَلَ بِالْجَزِيرَة، وَهُوَ يَجُرُّ قَدَمَيْهِ جَرًّا مِنْ شِدَّةِ الإِرْهَاقِ وَالإِعْيَاء، وَارْتَمَى عَلَى رَمْلِهَا النَّاعِم ، وَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا.

* * *

صَحَا أَنْوَر فِي الصَّبَاح ، وَأَخَذَ يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي رَمَاهُ الْقَدَرُ إِلَيْهَا ، فَرَأَى عَلَى مَرْمَى الْبَصَر ، بَيْتًا كَبِيرًا تَبْدُو فِيهِ نَوَافِذُ عَالِيَة ، لَا يَقِلُّ ارْتِفَاعُ كُلِّ نَافِذَةٍ مِنْهَا عَنْ خَمْسَةَ



عَشَرَ مِتْرًا، فَمَشَى إِلَيْهِ وَقَرَعَ الْبَاب ، فَسَمِعَ صَوْتًا مِثْلَ خُوَارِ الثَّوْرِ يَقُول :

ـ «اُدْخُلْ»

وَعَلَى الْأَثَرِ فُتِحَ الْبَاب، وَدَخَلَ مِنْهُ أَنْوَر ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ إِزَاءَ عِمْلَاقٍ (١) يَبْلُغُ طُولُهُ عَشَرَةَ أَمْتَارٍ ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ لَه :

ـ «مَا اسْمُك ؟ وَمَاذَا جِئْتَ تَفْعَلُ هُنَا ؟ »

فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَنْوَر نَظْرَةَ الْمُتَحَدِّى وَقَال :

ـ « اِسْمِى أَنْوَر الشُّجَاع ، وَقَدْ جِئْتُ أَبْحَثُ عَنِ الثَّرْوَة » .

فَقَالَ لَهُ الْعِمْلَاقُ هَازِئًا سَاخِرًا :

ـ « إِنَّ ثَرْوَتَكَ مَضْمُونَةٌ عِنْدِى يَا أَنْوَرُ الشُّجَاع ، فَأَنَا فِى حَاجَةٍ إِلَى خَادِمٍ ، فَتَسَلَّمْ عَمَلَكَ فِى الْحَال ... إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِى أَقُودُ فِيهَا قَطِيعِى إِلَى الْمَرْعَى ، فَعَلَيْكَ فِى أَثْنَاءِ غِيَابِى أَنْ

(١) العِمْلاق : إنسانٌ يَفُوقُ جِنْسَهُ فى الطُّول والضَّخامة .



تُنَظِّفَ الْإِسْطَبْل ، وَحَاذِرْ أَنْ تَدْخُلَ غُرَفَ الْمَنْزِلِ فَفِي ذٰلِكَ هَلَاكُك ! »

فَكَّرَ أَنْوَرُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعِمْلَاقِ وَقَالَ لِنَفْسِه : مَاذَا لَوْ زُرْتُ غُرَفَ الْبَيْتِ أَوَّلًا ؟ لَا بُدَّ أَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ مُمْتِعَةً يُرِيدُ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنِّي !

فَدَخَلَ الْغُرْفَةَ الْأُولَى ، فَوَجَدَ فِيهَا مَوْقِدًا كَبِيرًا فَوْقَهُ قِدْرٌ تَغْلِي وَلَا نَارَ فِي الْمَوْقِدِ فَقَالَ: مَا هٰذَا ؟ إِنَّ فِي الْأَمْرِ لَسِرًّا ! فَجَزَّ خُصْلَةً مِنْ شَعْرِهِ وَغَمَسَهَا فِي السَّائِلِ الَّذِي فِي الْقِدْرِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ قَدِ اسْتَحَالَتْ إِلَى لَوْنِ النُّحَاسِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْغُرْفَةَ الثَّانِيَةَ ، فَرَأَى فِيهَا مَا رَآهُ فِي الْأُولَى مِنْ مَوْقِدٍ كَبِيرٍ ، وَقِدْرٍ فَوْقَهُ يَغْلِي السَّائِلُ فِيهَا غَلَيَانًا ، وَلَا نَارَ تَحْتَهَا، فَغَمَسَ خُصْلَةَ الشَّعْرِ فِي ذٰلِكَ السَّائِلِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ بِلَوْنِ الْفِضَّةِ ، وَهٰكَذَا فَعَلَ فِي الْغُرْفَةِ الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ تَحْتَوِي عَلَى



مَا تَحْتَوِيهِ الْغُرْفَتَانِ الْأُولَيَان ، وَلٰكِنَّ خُصْلَةَ الشَّعْرِ قَدْ تَحَوَّلَتْ فِى هٰذِهِ الْمَرَّةِ إِلَى لَوْنِ الذَّهَب ، فَضَحِكَ وَقَالَ : مَنْ يَدْرِى لَعَلَّ السَّائِلَ فِى قِدْرِ الْغُرْفَةِ الرَّابِعَة ، يَكُونُ مِنْ عَصِيرِ الْأَلْمَاس ، فَدَخَلَهَا وَوَقَفَ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ مَبْهُوتًا ، فَقَدْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ فِيهَا عَلَى فَتَاةٍ رَائِعَةِ الْجَمَالِ ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِى شَفَقَةٍ وَأَسَفٍ وَقَالَتْ لَه :

ـ « مَاذَا جِئْتَ تَعْمَلُ هُنَا يَا مِسْكِين؟ » فَقَال :

ـ « أَلْحَقَنِي فِي هٰذَا الصَّبَاحِ رَبُّ هٰذَا الْبَيْتِ بِخِدْمَتِه ، وَحَصرَ عَمَلِي فِي تَنْظِيفِ الْإِسْطَبْل ، وَمَا هُوَ بِالْأَمْرِ الْعَسِير » فَقَالَت :

ـ « كَانَتِ السَّمَاءُ فِي عَوْنِكَ فَمَا إِلَى تَنْظِيفِهِ مِنْ سَبِيل ، فَكُلُّ مِقْدَارٍ مِنَ الزِّبْلِ تُخْرِجُهُ مِنَ الْبَابِ يَرْجِعُ عَشْرَةَ أَضْعَافِهِ مِنَ الشُّبَّاك ، وَلٰكِنْ سَأَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقَةٍ تَنْتَصِرُ عَلَى السِّحْرِ الْمَعْقُودِ فِي هٰذَا الْإِسْطَبْلِ : اُكْنُسْ أَرْضَهُ بِمِقْبَضِ الْمِكْنَسَةِ ، يَنْدَفِع الزِّبْلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً إِلَى الْخَارِج ».

فَشَكَرَهَا أَنْوَر عَلَى نَصِيحَتِهَا، وَجَلَسَ إِلَيْهَا يُبَادِلُهَا الْحَدِيث . وَكَانَتْ هٰذِهِ الْفَتَاةُ ابْنَةَ جِنِّيَّةٍ اسْتَطَاعَ الْعِمْلَاقُ الشِّرِّيرُ أَنْ يَأْسِرَهَا ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى أَنْوَر وَكَرِيمَة (وَهٰذَا اسْمُ الْفَتَاة) غَيْرُ دَقَائِقَ قَلِيلَة ، حَتَّى أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْن ، فَالْمَوَدَّةُ



سَرِيعَةُ الاتِّصَالِ بَيْنَ قُلُوبِ رُفَقَاءِ الشَّقَاء ، وَوَعَدَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ إِذَا تَمَكَّنَا مِنَ الْفِرَار .

وَكَادَ النَّهَارُ يَنْقَضِى وَهُمَا فِى أَحَادِيثَ حُلْوَةٍ شَائِقَة ، فَنَبَّهَتْ كَرِيمَةُ صَدِيقَهَا إِلَى أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِهِ قَبْلَ عَوْدَةِ الْعِمْلَاق ، فَنَهَضَ مُتَرَاخِيًا كَأَنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ حُلْمٍ جَمِيل ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَاتَّبَعَ فِى كَنْسِهِ الطَّرِيقَةَ الَّتِى ذَكَرَتْهَا لَهُ صَدِيقَتُهُ ، فَانْقَلَبَ الْإِسْطَبْلُ فِى طَرْفَةِ عَيْن ، نَظِيفًا لَامِعًا كَأَنْ لَمْ تَتَجَمَّعْ فِيهِ قَطُّ قُطْعَانُ الْغَنَم .

وَانْتَهَى أَنْوَر مِنْ عَمَلِه ، وَجَلَسَ عِنْدَ بَابِ الدَّارِ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ سَيِّدِه .

وَعَادَ هٰذَا بَعْدَ قَلِيل ، وَذَهَبَ تَوًّا إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَشَرَرُ الْغَضَبِ يَتَطَايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يُخَاطِبُ أَنْوَر :

ـ « إِنَّكَ وَلَا شَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَة ... »

فَتَصَنَّعَ أَنْوَرُ الْبَلَاهَةَ وَقَال :

– مَنْ كَرِيمَةُ هٰذِهِ ؟ أَهِيَ وَحْشٌ مِنْ وُحُوشِ هٰذَا الْبَلَد ؟ » .

فَسَكَتَ الْعِمْلَاقُ وَلَمْ يُجِب ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي جَمَعَ أَغْنَامَه ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى صَاحَ بِأَنْوَرَ وَقَالَ لَه :

ـ « عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَنِي الْيَوْمَ بِحِصَانِي الَّذِي تَرَكْتُهُ يَرْعَى فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَلَكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ بَعْدَ ذٰلِكَ طُولَ النَّهَار ، وَلٰكِنْ إِيَّاكَ وَدُخُولَ غُرَفِ الْمَنْزِل ، وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَك ! »



وَلَمْ يَكَدِ الْعِمْلَاقُ يَغِيبُ عَنِ النَّظَر ، حَتَّى سَارَعَ أَنْوَرُ إِلَى كَرِيمَة ، وَأَخْبَرَهَا عَنْ شُغْلِهِ

فِي ذٰلِكَ النَّهَارِ ، فَتَبَسَّمَتْ وَقَالَت :

ـ « مَا هُوَ بِشُغْلٍ سَهْل ، فَالْحِصَانُ عَنِيفٌ حَرُون ، وَلٰـكِنَّنِي سَأُرْشِدُكَ إِلَى وَسِيلَةٍ تُمَـكِّنُكَ مِنْه ، فَأَصْغِ إِلَيَّ : سَوْفَ تَرَى مِنْخَرَيْهِ يَقْذِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَب ، فَخُذْ مَعَكَ اللِّجَامَ الْمُعَلَّقَ وَرَاءَ بَابِ الإِسْطَبْلِ ، وَارْمِ بِهِ بَيْنَ فَـكَّيْهِ عِنْدَمَا يَفْتَحُ فَمَهُ يُصْبِـحْ أَطْوَعَ مِنْ حَمَلٍ وَدِيع .

فَطَارَ أَنْوَرُ إِلَى الْجَبَلِ وَفِي يَدِهِ الشَّـكِيمَة ، وَرَأَى هُنَاكَ حِصَانًا ضَخْمًا كَالْفِيل ، يَجْرِي إِلَيْهِ وَمِنْخَرَاهُ يَقْذِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَب ، فَانْتَظَرَهُ أَنْوَرُ بِقَدَمٍ ثَابِتَة ، حَتَّى إِذَا اقْـتَرَبَ مِنْهُ وَفَتَحَ فَمَه ، رَمَى بِاللِّجَامِ بَيْنَ فَـكَّيْه ، فَهَدَأَ وَسَكَن ، فَقَفَزَ إِلَى ظَهْرِهِ وَعَادَ بِهِ إِلَى الْمَنْزِل ، فَأَدْخَلَهُ الإِسْطَبْلَ وَسَارَعَ إِلَى كَرِيمَةَ يَقْضِي مَعَهَا بَقِيَّةَ النَّهَارِ فِي شَهِيِّ الأَحَادِيث .

وَعَادَ الْعِمْلَاق ، فَلَقِيَ عِنْدَ الْبَابِ أَنْوَر يَسْتَقْبِلُهُ قَائِلًا :



- « إِنَّ الْحِصَانَ فِى الْإِسْطَبْلِ يَاسَيِّدِى » .

فَتَوَجَّهَ الْعِمْلَاقُ إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَهُوَ يُزَمْجِرُ وَيَخُورُ خُوَارَ الثِّيرَانِ وَيَقُول :

- « إِنَّكَ وَلَا شَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَة...! ».

فَتَصَنَّعَ أَنْوَرُ الْبَلَاهَةَ وَقَال :

- « مَنْ كَرِيمَةُ هٰذِهِ؟ بِحَقِّ السَّمَاءِ إِلَّا أَرَيْتَنِي هٰذَا الْوَحْشَ الَّذِى تَتَحَدَّثُ عَنْه ! ». فَقَال الْعِمْلَاق :

- « سَوْفَ تَرَاهُ غَدًا » .

• • •

وَذَهَبَ الْعِمْلَاقُ فِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِلَى الْمَرْعَى ، وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَى أَنْوَر فِى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَال ، وَعَادَ عِنْدَ الظُّهْرِ يَشْكُو مِنَ الْحَرِّ وَالتَّعَبِ وَقَال لِكَرِيمَة :

- « إِنَّ عَلَى الْبَابِ فَتًى هُوَ خَادِمِى فَاذْبَحِيهِ وَضَعِيه فِى



الْقِدْرِ الْوَاسِعَةِ وَاطْبُخِيهِ ،
وَاسْتَدْعِينِي عِنْدَمَا يَنْضَج » . ثُمَّ
اسْتَلْقَى إِلَى سَرِيرِهِ رَاغِبًا فِي
قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَة ، فَدَبَّ النُّعَاسُ
إِلَى جَفْنَيْهِ ، فَنَامَ وَغَطَّ غَطِيطًا
كَأَنَّهُ الرَّعْدُ يُزَلْزِلُ الْجِبَال .

وَعَمَدَتْ كَرِيمَةُ إِلَى سِكّينٍ حَادَّة ، وَجَاءَتْ بِأَنْوَر وَجَرَحَتْهُ جُرْحًا صَغِيرًا فِي إِحْدَى أَصَابِعِه ، وَأَسْقَطَتْ فِي الْقِدْرِ ثَلَاثَ نُقَطٍ مِنْ دَمِهِ وَقَالَتْ لَه :

ـ « وَالْآنَ سَاعِدْنِي عَلَى مَلْءِ الْقِدْر » .

فَأَلْقَيَا فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ فِي مُتَنَاوَلِهِمَا ، مِنْ ثِيَابٍ بَالِيَةٍ وَأَحْذِيَةٍ قَدِيمَةٍ وَمَا إِلَى ذلِك . ثُمَّ قَادَتْهُ إِلَى الْغُرَفِ الثَّلَاث ، وَتَنَاوَلَتْ مِنَ الْأُولَى كُرَةً صَغِيرَةً مِنْ نُحَاس ، وَالْتَقَطَتْ

مِنَ الثَّانِيَةِ كُرَةً مِنْ فِضَّة ، وَاسْتَوْلَتْ مِنَ الثالِثَةِ عَلَى ثَلاثِ كُرَاتٍ مِنْ ذَهَب ، وَفَرَّتْ هِيَ وَأَنْوَر مُتَّجِهَيْنِ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَقَالَتْ لَه :

ـ « عَلَيْنَا أَنْ نُغَادِرَ هٰذِهِ الْجَزِيرَةَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَإِلَّا هَلَكْنَا » .

وَبَعْدَ أَنْ نَامَ الْعِمْلاقُ نَحْوَ سَاعَةٍ ، فَتَحَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَصَاح :

ـ « هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ »

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ نُقْطَةُ الدَّمِ الْأُولَى وَقَالَت :

ـ « بَدَأَ يَنْضَج ... »

فَاسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ سَاعَةً أُخْرَى أَوْ سَاعَتَيْنِ صَحَا بَعْدَهُمَا وَصَاح :

ـ « أَتَسْمَعِينَنِي يَا كَرِيمَة ؟ هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ »



فَأَجَابَتْهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّانِيَةُ وَقَالَت :

ـ « يَكَادُ يَنْضَج ... »

فَاسْتَسْلَمَ إِلَى النَّوْمِ ثَانِيَةً ، وَاسْتَيْقَظَ بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ وَصَاحَ وَقَدْ نَفِدَ صَبْرُه :

ـ « وَيْحَكِ يَا كَرِيمَة هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ »

فَقَالَتْ لَهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّالِثَة :

ـ « نَضِجَ تَمَامَ النُّضْج ... »

فَبَحَثَ الْعِمْلَاقُ عَنْ كَرِيمَةَ فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا ، وَمَضَى إِلَى الْقِدْرِ وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً فَاحِصَة ، فَهَالَهُ أَنْ يَرَى فِيهَا عَدَدًا مِنَ الْأَحْذِيَةِ وَالْمَلَابِس ، فَتَمَلَّكَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ وَصَاحَ مُتَوَعِّدًا :

ـ « وَيْلٌ لِلشَّقِيَّيْنِ ! لَقَدْ سَخِرَا مِنِّي وَلَكِنْ سَتُكَلِّفُهُمَا هٰذِهِ السُّخْرِيَةُ غَالِيًا » .

وَخَرَجَ يَجْرِى وَرَاءَ الْهَارِبَيْنِ وَهُوَ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ مُخِيفَةً ، فَلَمَحَهُمَا بَعْدَ قَلِيل ، وَكَانَا لَا يَزَالَانِ بَعِيدَيْنِ مِنَ الشَّاطِئِ ، فَصَرَخَ صَرْخَةَ فَرَحٍ اهْتَزَّتْ لِصَدَاهَا الْجِبَالُ وَالْغَابات .

وَتَوَقَّفَتْ كَرِيمَةُ وَهِيَ تَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوْف ، فَضَمَّهَا أَنْوَر إِلَى صَدْرِهِ وقَالَ يُشَجِّعُهَا :

ـ « لَا تَجْزَعِي يَا حَبِيبَتِي ، فَالْبَحْرُ غَيْرُ بَعِيد ، وَسَوْفَ نَبْلُغُهُ قَبْلَ عَدُوِّنَا ».

فَقَالَتْ لَهُ مُشِيرَةً إِلَى الْعِمْلَاقِ الَّذِى كَانَ عَلَى بُعْدِ خُطُوَاتٍ مِنْهُمَا :

ـ « اُنْظُرْ . . . هَا هُوَذَا . . . إِنَّنَا هَالِكَانِ إِذَا لَمْ يُنْقِذْنَا هٰذَا السِّحْر ! »

وَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ النُّحَاسِ وَرَمَتْ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ تَقُول :

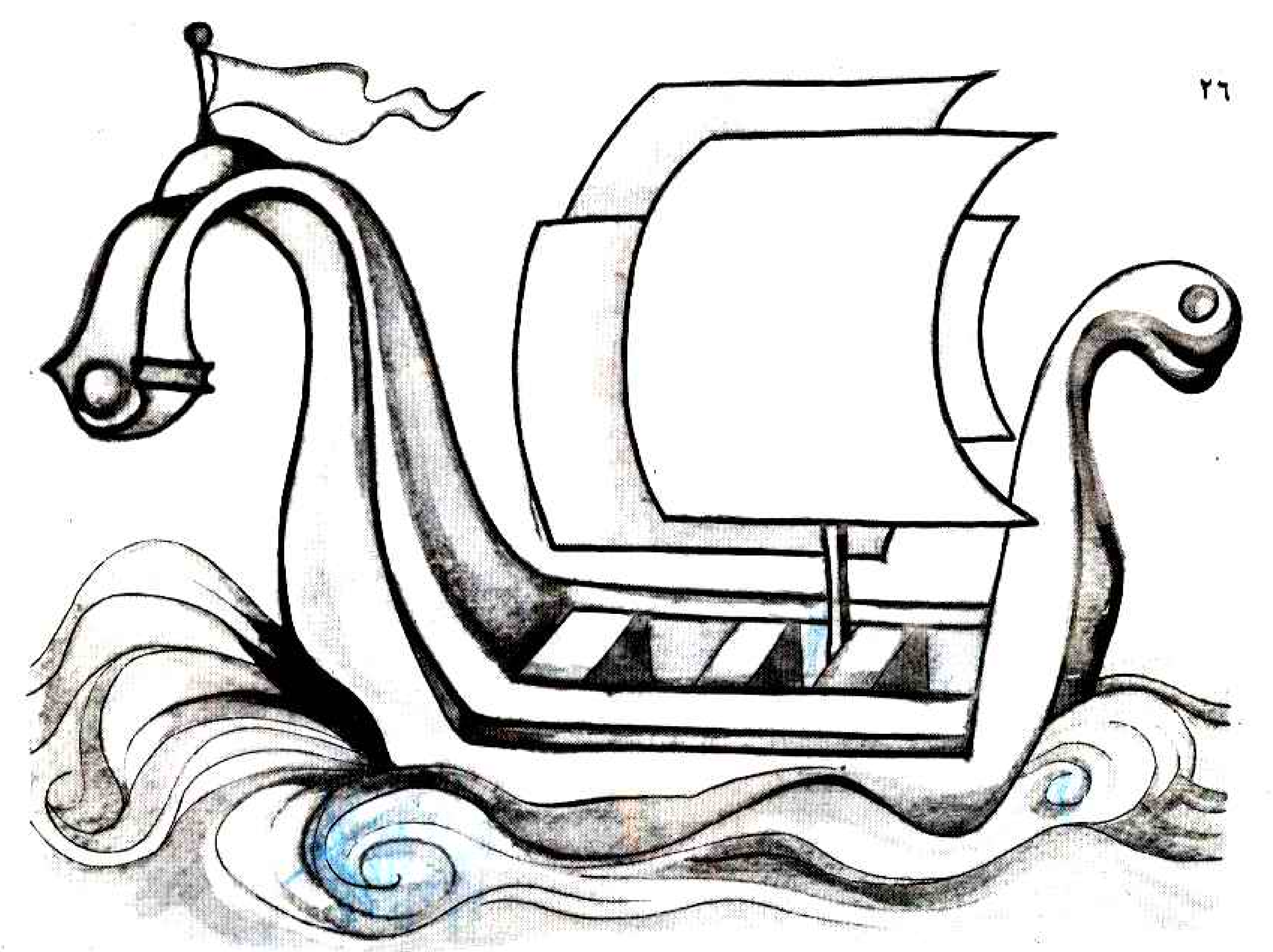
يَا كُـرَةَ النُّحَاسِ
غُورِى بِشَرِّ النَّاسِ

فَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ عَلَى الْفَوْرِ ، وَأَحْدَثَتْ فَجْوَةً عَمِيقَةً بَعْدَ أَنْ كَانَ الْعِمْلَاقَ قَدْ مَدَّ ذِرَاعَهُ وَكَادَ يَقْبِضُ عَلَى الْفَرِيسَةِ.

وَتَابَعَ الْهَارِبَانِ رَكْضَهُمَا إِلَى الْبَحْرِ ، فِى حِينَ كَانَ الْعِمْلَاقُ ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْهِيَاجُ أَشَدَّهُ ، يَرُوحُ وَيَغْدُو كَدُبٍّ مَحْبُوسٍ فِى قَفَصٍ.




فايز



وَطَالَتْ بِهِ تِلْكَ الْحَال ، حَتَّى اسْتَرْعَتِ انْتِبَاهَهُ شَجَرَةٌ طَوِيلَةٌ ضَخْمَة ، فَاقْتَلَعَهَا مِنْ جُذُورِهَا ، وَرَمَاهَا فَوْقَ الْفَجْوَةِ وَاتَّخَذَهَا جِسْرًا طَبِيعِيًّا مَشَى فَوْقَهُ عَلَى مَهَل ، وَاجْتَازَ الْهُوَّةَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَر .

وَكَانَ أَنْوَر وَكَرِيمَة قَدْ وَصَلَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَيَالَلْأَسَف ، زَوْرَقٌ وَلَا سَفِينَة ،

فَخَابَ رَجَاؤُهُمَا ، وتَوَقَّعَا الْمَوْتَ عَلَى يَدِ ذلِكَ الْوَحْشِ الْمُفْتَرِس . وَلَمْ تَفْقِدْ كَرِيمَة وَعْيَهَا ، فَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَتْهَا فِي الْبَحْرِ وَهِيَ تَقُول :

يَا كُرَتِي الْفِضِّيَّهْ

عَوْنَكِ فِي الْبَلِيَّهْ

فَمَا كَادَتْ تَنْطِقُ بِهٰذِهِ الْجُمْلَةِ السِّحْرِيَّة ، حَتَّى انْبَثَقَ مِنَ الْأَمْوَاج ، مَرْكَبٌ جَمِيلٌ سَبَحَا إِلَيْه ، وَحِينَمَا بَلَغَ الْعِمْلَاقُ الشَّاطِئَ ، كَانَتْ هٰذِهِ السَّفِينَةُ تَسِيرُ قُدُمًا فِي عُرْضِ الْبَحْرِ مَنْشُورَةَ الشِّرَاع .

وَقَصَدَ الْعِمْلَاقُ مَنْزِلَهُ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ وَالْغَيْظُ يُقَطِّعُ قَلْبَه ، وَمَا إِنْ أَقْلَعَتِ السَّفِينَةُ بِالْهَارِبَيْنِ ، حَتَّى الْتَفَتَ أَنْوَر إِلَى كَرِيمَة وَقَال لَهَا فَرِحًا مَسْرُورًا :

– « لَقَدْ نَجَوْنَا . لَقَدْ نَجَوْنَا » .

فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة مُرْتَعِدَة مُضطرِبَة .

– « لا يَزَالُ الْخَطَرُ يُحَلِّقُ فَوْقَ رَأْسِنَا ، فَلِلْعِمْلَاق شَفِيعَةٌ مِنَ السَّاحِرَات ، وَإِنِّى لَأَخْشَى أَنْ تَثْأَرَ لَهُ مِنَّا . . . وَقَلْبِي يَقُولُ لِى إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَنِى لَحْظَةً وَاحِدَة ، عَرَّضْتَنِى لِلْخَطَر ، وَلَنْ يَزُولَ عَنِّى حَتى أُزَفَّ إِلَيْك » . فَقَالَ لَهَا أَنْوَر مُبْتَسِمًا :

– « لاَ تَخَافِى يَا عَزِيزَتِى ، فَإِنَّ حُبَّنَا أَقْوَى مِنْ كُلِّ خَطَر » .

* * *

كَانَتِ السَّفِينَةُ تَشُقُّ طَرِيقَهَا عَبْرَ الأَمْوَاج ، وَكَأَنَّ يَدًا خَفِيَّةً تَدْفَعُهَا إِلَى بَلَدِ أَنْوَر ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ رَسَتْ فِى الْمِينَاءِ الَّذِى لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا مِنَ الْقَصرِ الَّذِى نَشَأَ فِيهِ أَنْوَر ، فَلَمْ تَكَدْ قَدَمُهُ تَطَأُ أَرْضَ الشَّاطِئِ ، حَتَّى الْتَفَتَ إِلَى السَّفِينَةِ يُرِيدُ أَنْ يَشْكُرَ الْمَلَّاحِينَ عَلَى جَهْدِهِمْ وَحُسْنِ رِعَايَتِهِم ، وَلَكِنْ كَانَتِ السَّفِينَةُ قَدْ تَوَارَتْ بِمَلَّاحِيهَا كَأَنَّمَا



غَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ .

وَلَا تَسَلْ عَنْ فَرْحَةِ أَنْوَر حِينَمَا عَرَفَ مَزَارِعَ أَبِيهِ وَالْقَصْرَ الْقَائِمَ فِي وَسَطِهَا ، ومَالَ عَلَى كَرِيمَة يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ لَهَا عَنْ سُرُورِهِ بِعَوْدَتِهِ إِلَى قَرْيَتِهِ ، فَتَنَبَّهَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَى مَلَابِسِهَا الزَّرِيَّةِ فَقَالَ لَهَا :

ـ « إِنَّ أُسْرَتِي تُعْنَى كَثِيرًا بِالْمَظَاهِرِ ، فَلَسَوْفَ تَسْتَاءُ إِذَا رَأَتْكِ عَلَى مِثْلِ هٰذَا الزِّيِّ الْحَقِيرِ ، وَلَسَوْفَ تَزْدَادُ اسْتِيَاءً إِذَا ذَهَبْنَا إِلَى الْقَصْرِ مَشْيًا عَلَى الْأَقْدَام ، فَانْتَظِرِينِي قَلِيلاً أَعُدْ إِلَيْكِ بِثِيَابٍ جَمِيلَة ، وَبِفَرَسٍ تَرْكَبِينَهَا إِلَى الْقَصْرِ » .

فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة قَلِقَةً مُضْطَرِبَة :

ـ « لَا تَتْرُكْنِي يَا أَنْوَر ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَنْسَانِي إِذَا لَقِيتَ أَهْلَكَ وَأَصْدِقَاءَكَ ... » .

فَقَاطَعَهَا أَنْور وَبَدَّدَ مَخَاوِفَهَا ، فَمَا وَسِعَهَا إِلَّا أَنْ تَرْضَى ،

وَلَكِنَّهَا أَوْصَتْهُ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ :

ـ « اِذْهَبْ وَعُدْ إِلَيَّ سَرِيعًا ، وَلَسَوْفَ يُحِيطُ النَّاسُ بِكَ وَيُقَدِّمُونَ لَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَنَاوَلَ مِنْهُ شَيْئًا وَإِلَّا حَلَّتْ بِنَا نَحْنُ الاثْنَيْنِ مُصِيبَةٌ كَبِيرَة » .

فَوَعَدَهَا خَيْرًا ، وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ الْقَصْرَ ، فَرَآهُ مُزْدَانًا بِالرَّايَاتِ مُزْدَحِمًا بِالْمَدْعُوِّين ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُون ، وَيَرْقُصُونَ وَيُغَنُّون ، وَقَدْ جَاءُوا يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ رَبِّ الْقَصْر .

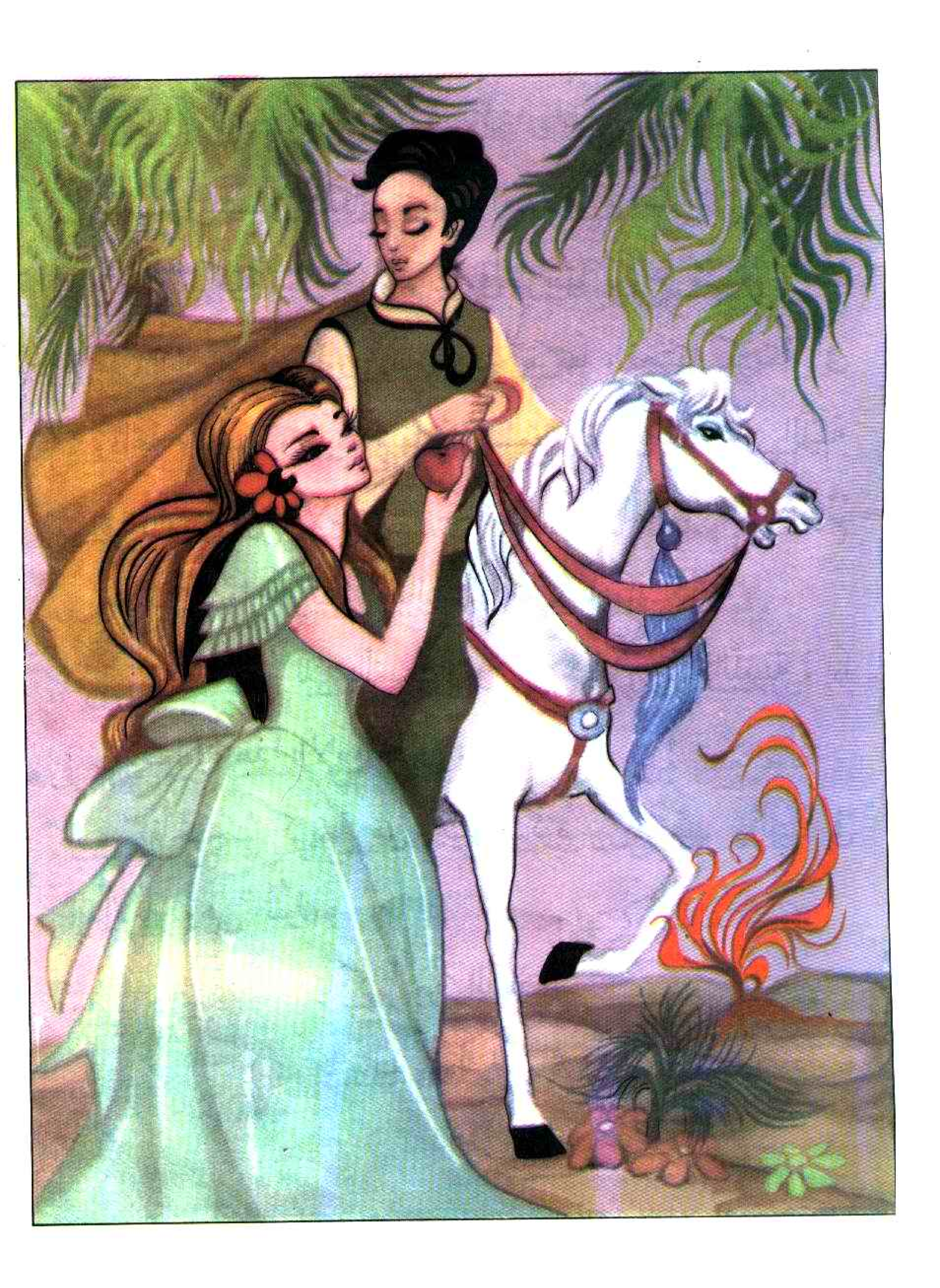
سَرَّ الْقَوْمَ ظُهُورُ أَنْور بَيْنَهُم ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يُحَيُّونَه ، وَيُصَافِحُونَهُ وَيُقَبِّلُونَه ، وَيَطْرَحُونَ عَلَيْهِ مِئَاتِ الْأَسْئِلَةِ عَنْ رِحْلَتِهِ وَمُغَامَرَاتِهِ وَمَغَانِمِه ، فَمَا كَانَ يُجِيبُ عَنْ سُؤَال ، وَإِنَّمَا اكْتَفَى بَعْدَ أَنْ قَبَّلَ يَدَ أَبِيه ، بِأَنْ يُهْرَعَ إِلَى غُرْفَةِ شَقِيقَتِه ، وَيَأْخُذَ مِنْهَا ثَوْبَيْنِ فَاخِرَيْن ، وَيُسَارِعَ بِهِمَا إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَيُسْرِجَ فَرَسًا وَيُمْسِكَ بِلِجَامِه ، ثُمَّ يَمْتَطِي جَوَادًا

مِنَ الْجِيَادِ ، ويَخْرُجَ بِهِ وَبِالْفَرَسِ عَائِدًا إِلَى كَرِيمَة .

غَادَرَ الْقَصْرَ وَهَمَّ أَنْ يُطْلِقَ لِجَوَادِهِ الْعِنَان ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ سَيِّدَةٌ شَقْرَاءُ لَا يَعْرِفُهَا ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَفِي يَدِهَا تُفَّاحَة ، وَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً غَرِيبَة :

ـ « أَيُّهَا الْفَارِسُ الْجَمِيل ! لَقَدْ عُدْتَ مِنْ سَفَرٍ طَوِيل ، وَلَا أَظُنُّكَ إِلَّا جَوْعَانَ عَطْشَان، فَاقْبَلْ مِنِّي هٰذِهِ التُّفَّاحَة ، وَكُلْهَا هَنِيئًا ، وَلَسْتُ أَعْتَقِد ، وَأَنْتَ الْفَتَى الْمُؤَدَّبُ الْمُهَذَّب ، أَنَّكَ نَسِيتَ آدَابَ الْكِيَاسَةِ وَالْمُجَامَلَة، وَأَنَّكَ تَرْفُضُ رَجَاءَ سَيِّدَةٍ تُضْمِرُ لَكَ الْخَيْر ».

فَقَبِلَ أَنْوَرُ الرَّجَاء، وَمَا كَادَ يَعَضُّ عَلَى التُّفَّاحَة، حَتَّى تَوَلَّاهُ ذُهُولٌ شَدِيد، فَتَرَجَّلَ وَقَدَّمَ ذِرَاعَهُ لِلسَّيِّدَة ، فَتَأَبَّطَتْهَا وَرَجَعَا مَعًا إِلَى الْقَصْرِ يُشَارِكَانِ فِي مَبَاهِجِ الْحَفْل . وَبَقِيَتْ تَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى وَعَدَهَا بِالزَّوَاج ، وَنَسِيَ كَرِيمَةَ كُلَّ النِّسْيَان .



طَالَ الْوَقْتُ عَلَى كَرِيمَة وَلَمْ يَرْجِع الْحَبِيبُ الْمُنْتَظَر ، فَقَامَتْ والشَّمْسُ تَكَادُ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُق ، وَسَارَتْ فِى اتّجَاهِ الْقَصرِ بَاكِيَةً حَزِينَة ، وَمَرَّتْ فِى طَرِيقِهَا بكُوخٍ مُتَهَدِّمٍ وَقفتْ عَلَى بَابِهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ تَهُمُّ بِحَلْبِ بَقَرَتِهَا ، فَحَيَّتْهَا كَرِيمَة فِى وَدَاعَة وَأَدَب ، وَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِقَضَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِى زَاوِيَةٍ مِنَ الْإسْطَبْلِ ، فَحَدَّقَتْ إِلَيْهَا الْعَجُوزُ طَوِيلًا وَلَمْ تُعْجِبْهَا ثِيَابُهَا الْغَرِيبَة ، فَقَالَتْ لَهَا تَعجّزُهَا مُتَهَكِّمَة :

ـ « سَأَسْمَحُ لَكِ بِالْمَبِيتِ فِى الْإِسْطَبْلِ أَيَّتُهَا اللَّعِينَة ، إِذَا مَلَأْتِ لِى هٰذَا الْإِنَاءَ ذَهَبًا » .

فَأَخْرَجَتْ كَرِيمَة مِنْ جَيْبِهَا كُرَةً مِنْ ذَهَبٍ وَأَلْقَتْهَا فِى الإِنَاءِ وَهِىَ تَقُول :

يَا كُرَةً مِنَ الذّهَبْ
مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

وَعَلَى الْفَوْرِ امْتَلأَ الإِنَاءُ بِقِطَعِ الذَّهَبِ ، فَاسْتَوْلَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى الْعَجُوز ، وَقَفَزَتْ إِلَى الإِنَاءِ فَحَمَلَتْهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الْكُوخِ وَهِيَ تَصِيحُ فِي كَرِيمَة :

– « الْكُوخُ وَالْبَقَرَةُ وَالإِسْطَبْلُ كُلُّ هٰذَا لَكِ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَة . . . إِنِّي ذَاهِبَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعِيشُ فِيهَا عَيْشَ الأَمِيرَات. آهِ لَوْ لَمْ أَكُنْ تَجَاوَزْتُ السِّتِّينَ مِنْ عُمْرِي ! » .

وَمَضَتْ تُوسِعُ الْخُطَا إِلَى نَاحِيَةِ الْقَصْر. وَعَزَّ عَلَى كَرِيمَة أَنْ تَسْكُنَ هٰذَا الْكُوخَ الْحَقِيرَ بَعْدَ قَلْعَةِ الْعِمْلَاق ، فَأَخْرَجَتْ مِنْ جَيْبِهَا كُرَةً أُخْرَى مِنَ الذَّهَب ، وَرَمَتْهَا فِي الْمَوْقِدِ الَّذِي كَانَتْ تَشْتَعِلُ فِيهِ بَعْضُ أَعْوَادٍ مِنَ الْقَصَب ، وَقَالَتْ تُخَاطِبُ كُرَتَها :

يا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ
مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

فَغَمَرَ الْكُوخَ فِى الْحَالِ سَيْلٌ مِنَ الذَّهَبِ غَطَّى جُدْرَان الْكُوخِ وَالسَّقْفَ وَالْكَرَاسِيَّ وَالسَّرِير، وَكُلَّ شَيْءٍ فِى الْكُوخِ حَتَّى قَرْنَى الْبَقَرَة . وَكَانَ التَّعَبُ قَدْ بَلَغَ مِنْ كَرِيمَة مَبْلَغَهُ، فارْتمَتْ إِلَى السَّرِيرِ وَغَلَبَهَا النُّعَاسُ فَنَامَت .

وَحَكَتِ الْعَجُوزُ حِكَايَتَهَا لِلنَّاسِ وَالْحِجارَة، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِى قَرْيَةِ أَنْوَر إِلَّا عَلِمَ بِهَا .

وَعِنْدَ الْفَجْرِ نَهَضَ نَاظِرُ الزِّرَاعَة ، وَتَوَجَّهَ إِلَى كُوخِ الْعَجُوزِ مُسْتَطْلِعًا، فَدَهِشَ لَمَّا رَأَى بَدَلَ الْكُوخِ بَيْتًا مِن الذَّهَب ، وَزَاغَ بَصَرُهُ عِنْدَمَا دَخَلَ الْبيْتَ وَرَأَى فَتَاةً عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الْجَمَال ، جَالِسَةً قُرْبَ النَّافِذَة ، وَبِيَدِهَا مِغْزَلٌ تَغْزِلُ بِهِ الصُّوف .

وَكَانَ هٰذَا النَّاظِرُ شَابًّا مُعْجَبًا بِنَفْسِه، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْضَى بِهِ زَوْجًا، فَضَحِكَتْ مِنْهُ وَاسْتَهْزَأَت ، فَهَدَّدَهَا بِالسِّجْنِ بِتُهْمَةِ

السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَة ، فلَمْ تَكْتَرِثْ له ، وَكَانَتْ بَعْضُ جمَرَاتِ الْـمَوْقِدِ قَدْ تَدَحْرَجَتْ إِلَى أَرْضِ الْـغُرْفَة ، فَأَمْسَكَ بِالْـمِلْقَطِ وَأَسْرَعَ يُعِيدُهَا إِلَى مَوْضِعِهَا فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَـة :

– « أَمْسِكْ جَيِّدًا بِالْمِـلْقَط ، وَالْتَقِطْ بِهِ الْجَمْرَ ، وَأَعِدْهُ إلى الْمَوْقِد » .

ثُمَّ لَفظَتْ هٰذِهِ الْـكَلِمَـةَ السِّحْرِيَّـة :

– « أَبْرَا كَادَبْرَا » . وَأَضَافَتْ تَقُول :

– « اِبْقَ أَيُّهَا الشِّرِّيرُ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ مُمْسِكًا بِالْمِـلْقَط تَلْتَقِطُ بِهِ الْجَمْرَ وَتُرْجِعُهُ إِلَى مَـكَانِهِ » .

فَقَضَى الرَّجُلُ طُولَ نَهَارِهِ يَقُومُ بِهٰذَا الْعَمَل ، وَقِطَعُ الْجَمْرِ تَثِبُ فِي وَجْهِهِ ، وَالرَّمَادُ السَّاخِنُ يَطِيرُ حَوْلَ عَيْنَيْهِ وَيَكْوِيهِمَا بِحَرَارَتِه .

وَحَالمَا غَابَتِ الشَّمْسُ سَقَطَ الْمِـلْقَطُ مِنْ يَدَيْ نَاظِرِ الزِّرَاعَةِ

فَفَرَّ هَارِبًا كَأَنَّ الشَّيْطَانَ أَوِ الْعَدَالَةَ تَجِدُّ فِى أَثَرِه .

وَفِى الْمَسَاءِ زَارَ كَرِيمَةَ زَائِرٌ آخَرُ هُوَ رَئِيسُ حَرَسِ الْقَصْرِ ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِقِصَّةِ الذَّهَب ، فَجَاءَ يُجَرِّبُ هُوَ أَيْضًا حَظَّهُ فِى الزَّوَاجِ مِنْ هٰذِهِ الْفَتَاةِ الْغَرِيبَةِ .

سَخِرَتْ مِنْهُ كَرِيمَة ، وَوَصَفَتْهُ بِقِلَّةِ الذَّوْقِ إِذْ تَرَكَ بَابَ الْغُرْفَةِ مَفْتُوحًا ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِى أَنْ يَحْمِىَ الْفَتَاةَ الَّتِى أَقْبَلَ يَخْطُبُهَا وَفِى أَنْ يُجَنِّبهَا الْهَوَاءَ الْبَارِدَ الَّذِى يَمْلأُ الْغُرْفَة .

وَمَا إِنْ سَمِعَ عِتَابَهَا حَتَّى مَشَى إِلَى الْبَاب ، وَأَمْسَكَ بِالْمِقْبَضِ يُرِيدُ إِغْلَاقَه ، فَقَالَتْ كَرِيمَة كَلِمَتَهَا السِّحْرِيَّة :

– « أَبْرَا كَادَبْرَا . » وَأَضَافَتْ تَقُول :

– « اِبْقَ أَيُّهَا الشِّرِّيرُ حَتَّى الصَّبَاحِ مُمْسِكًا بِالْبَاب ، تُغْلِقُهُ وَتَفْتَحُهُ عَلَى مَرِّ الدَّقَائِق » .

فَقَضَى الرَّجُلُ طُولَ اللَّيْلِ فِى حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ حَتَّى انْخَلَعَتْ

عِظَامُه . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ فُكَّتْ كَفُّهُ مِنْ مِقْبَضِ الْبَاب فَفَرَّ يُسَابِقُ الرِّيح .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ كَرِيمَة ، فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا عَلَى رَجُلٍ جَالِسٍ إِلَى جِوَارِ سَرِيرِهَا ، قَاسِي الْمَظْهَر ، عَبُوسِ الْوَجْه ، وَكَانَ عُمْدَةَ الْقَرْيَة ، سَمِعَ هُوَ كَذَلِكَ بِأَخْبَارِ الذَّهَب ، فَجَاءَ يَطْلُبُ يَدَ رَبَّةِ الذَّهَب ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ كَرِيمَة إِلَى الْإِسْطَبْل ، فَلَحِقَ بِهَا إِلَيْه ، وَاعْتَرَضَتِ الْبَقَرَةُ طَرِيقَه ، فَجَرَّهَا مِنْ ذَيْلِهَا إِلَى خَارِجِ الْإِسْطَبْل ، وَاغْتَنَمَتْ كَرِيمَة هٰذِهِ الْفُرْصَةَ وَقَالَتْ كَلِمَتَهَا السِّحْرِيَّة :

– « أَبْرَا كَادَبْرَا » وَأَضَافَتْ تَقُول :

– « لِيُمْسِكْ بِكَ ذَيْلُ الْبَقَرَةِ حَتَّى تَدُورَا مَعًا حَوْلَ الْعَالَم » .

فَانْطَلَقَتِ الْبَقَرَةُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ تَجُرُّ مَعَهَا الْعُمْدَة ،

مُصَعِّدَةً فِى الْجِبَال ، هَابِطَةً إلَى الْأَوْدِيَة ، مُجْتَازَةً الْأَنْهَار ، مُرَفْرِفَةً فَوْقَ الْبِحَار ، وَبَعْدَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ سَاعَةً مِنْ هٰذِهِ الرِّحْلَةِ الْعَجِيبَة ، تَوَقَّفَتِ الْبَقَرَةُ بِمَنْ تَجُرُّ مَعَهَا فِى سَاحَةِ الْقَرْيَة ، وَهَرْوَلَ الْعُمْدَةُ إلَى بَيْتِهِ مُتَصَبِّبَ الْعَرَق ، مُحَطَّمَ الْأَضْلَاع .

. . .

بَيْنَمَا كَانَ هٰؤُلَاءِ الْعِرْسَانُ الثَّلَاثَةُ يَتَحَمَّلُونَ مِثْلَ ذٰلِكَ الْعَذَاب ، كَانَ أَهْلُ أَنْوَر بَلِ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا تُوَاصِلُ اسْتِعْدَادَهَا مُنْذُ يَوْمَيْنِ لِلاحْتِفَالِ بِزِفَافِ السَّيِّدَةِ الشَّقْرَاءِ إلَى أَنْوَر .

وَيَوْمَ اكْتَمَلَ عِقْدُ الْمَدْعُوِّين ، رَكِبَ الْعَرُوسَانِ مَرْكَبَةً فَاخِرَةً مُزَيَّنَةً بِالْوَرْدِ وَالرَّيْحَان ، وَقَدْ حَفَّ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يَمْتَطُونَ الْخُيُولَ الْأَصِيلَة ، وَيَخْتَالُونَ بِمَلَابِسِهِمُ الْمُزَرْكَشَةِ وَسِلَاحِهِمِ الْبَرَّاق .

وَسَارَ الْمَوْكِبُ فِى طَرِيقِهِ إلَى مَكْتَبِ مُوَثِّقِ الْعُقُود ، وَزَادَ السَّائِقُ مِنْ سُرْعَةِ الْمَرْكَبَةِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَجْتَازَ حُفْرَةً اعْتَرَضَتْهُ ، فَتَحَطَّمَتِ السَّارِيَةُ الْمَرْبُوطَةُ إِلَيْهَا الْجِياد ، وَانْقَسَمَتِ الْمَرْكَبَةُ شَطْرَيْن ، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ لَطَفَتْ بِالْعَرُوسَيْنِ فَلَمْ يُصَابَا بِأَذًى .

وَجِيءَ بِالنَّجَّارِينَ وَالْحَدَّادِينَ لِإِصْلَاحِ الْمَرْكَبَة ، وَتَنَافَسَ الرِّجَالُ الْأَشِدَّاءُ يُحَاوِلُونَ رَفْعَ الْمَرْكَبَةِ مِنَ الْحُفْرَة ، فَذَهَبَ جَهْدُ هَؤُلاءِ وَأُولئِكَ ضَيَاعًا . فَاقْتَرَبَ عِنْدَئِذٍ نَاظِرُ الزِّرَاعَةِ وَرَئِيسُ الْحَرَسِ وَالْعُمْدَةُ مِنْ وَالِدِ أَنْوَر ، وَقَالَ الْأَوَّل :

– « إنَّ فِى ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الَّذِى نَرَاهُ يَلْمَعُ وَيَسْطَعُ عَنْ بُعْد ، فَتَاةً غَرِيبَةً عَنِ الدِّيَار ، تَنْفَرِدُ بِأَعْمَالٍ يَعْجِزُ عَنْهَا سِوَاهَا ، فَرَأْيِى أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا مِلْقَطَهَا ، وَنَضَعَهُ فِى مَكَانِ السَّارِيَة . . . » ، وَقَالَ الثَّانِى :

– « وَرَأْيِى أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَابَ غُرْفَتِهَا ، وَنَجْمَعَ بِهِ

شَطْرَى الْمَرْكَبَة . . . » ، وَقَال الثَّالِث :

- « وَرَأْيِي أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَقَرَتَهَا الْقَوِيَّةَ وَنَرْفَعَ بِهَا الْمَرْكَبَة » .

فَوَافَقَ وَالِدُ أَنْوَر عَلَى هٰذِهِ الآرَاءِ الثَّلاثَة ، وَجَرَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ إِلَى مَنْزِلِ كَرِيمَة ، فَأَعَارَتْهُمْ مَا طَلَبُوا وَعَادُوا بِالْمِلْقَطِ فَحَلَّ مَحَلَّ السَّارِيَة ، وبِبَابِ الغُرْفَةِ فَوَصَلَ بَيْنَ شَطْرَى الْمَرْكَبَة . وَرَبَطَ السَّائِقُ الْبَقَرَةَ إِلَى الْمَرْكَبَةِ فَانْتَشَلَتْهَا مِنَ الْحُفْرَةِ وَطَارَتْ بِهَا فِي سُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ لا إِلَى مَكْتَبِ مُوَثِّقِ الْعُقُود ، بَلْ رَجَعَتْ بِهَا إِلَى الْقَصر .

وَكَانَتِ الْمَوَائِدُ قَدْ أُعِدَّتْ ، وَالطَّبَّاخُونَ قَدْ أَتَمُّوا صُنْعَ شَهِيِّ الطَّعَام ، فَقَالَ وَالِدُ أَنْوَر :

- « غَدًا نَذْهَبُ إِلَى تَوْثِيقِ عَقْدِ الزَّوَاج ، أَمَّا الْيَوْم فَلْنَحْتَفِلْ بِزَوَاجِ أَنْوَر وَعَرُوسِه » .

ثُمَّ دَعَا الْمَدْعُوِّينَ إِلَى الْجُلُوس ، وَجَلَسَ هُوَ فِي صَدْرِ

الْـمَـائِدَةِ الرَّئِيسَة ، وَأَجْلَسَ عَنْ يَمِينِهِ السَّيِّدَةَ الشَّقْرَاءَ فَأَنْوَر وَتَرَكَ الْـمَقْعَدَ الَّـذِى عَنْ يَسَارِهِ خَالِيًا .

وَكَانَتْ الْـمَعُونَةُ الَّـتِي بَذَلَتْهَا لَهُمُ الْـفَتَـاةُ الْـغَرِيبَةُ قَدْ أَثَّرَتْ فِي نَفْسِهِ ، فَأَوْفَدَ إِلَيْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْفُرْسَانِ يَدْعُونَهَا بِاسْمِهِ إِلَى شُهُودِ الْمِهْرَجَانِ الَّـذِى يُقَامُ احْتِفَاءً بِزَوَاجِ ابْنِهِ ، فَلَبَّتْ كَرِيمَة الدَّعْوَة ، وَنَفْسُهَا حَزِينَةٌ حَتَّى الْمَوْت .

وَصَلَتْ كَرِيمَـة إِلَى الْقَصْر ، فَخَفَّ وَالِدُ أَنْوَر يُرَحِّبُ بِهَا أَجْمَلَ تَرْحِيب ، وَأَجْلَسَهَا عَنْ يَسَارِهِ فِي الْمَقْعَدِ الْخَالِى، فِي حِينَ نَظَرَ أَنْوَر إِلَيْهَا نَظْرَةً عَابِرَةً وَلَمْ يَعْرِفْهَا ، فَحَزَّ الْأَلَمُ فِي صَدْرِهَا وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : وَدَاعًا أَيَّتُهَا الْأَحْلَامُ الْجَمِيلَة !

وَدَوَّى صَوْتُ وَالِدِ أَنْوَر يَقُول :

– « لِنَشْرَبْ جَمِيعًا فِي صِحَّةِ ضَيْفَتِنَا النَّبِيلَة ! »

وَشَاءَتْ كَرِيمَة أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى أَمَلِهَا الْأَخِير ، فَأَخْرَجَتْ

كُرَةَ الذَّهَبِ مِنْ جَيْبِهَا ، وَهَمَسَتْ بِهَا قَائِلَةً وَهِيَ تَفْرُكُها :

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ

مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

فَاسْتَطالَتِ الْكُرَةُ فِي يَدِهَا ، وَأَصْبَحَتْ كَأْسًا كَبِيرَةً مِنَ البِلَّوْرِ ، فَمَلَأَتْها بِالشَّرَابِ ، وَرَجَتْ مِنْ أَحَدِ الْخَدَمِ أَنْ يُقَدِّمَها إِلَى أَنْوَر ، فَتَنَاوَلَها وَرَفَعَها إِلَى عَيْنَيْهِ عَلى سَبِيلِ التَّحِيَّة ، فَاضْطَرَبَ اضْطِرَابًا شَدِيدًا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكَأْسِ ، مَأْخُوذًا بِرُؤْيَا لَاحَتْ لَهُ فِيها ، وَأَرَتْهُ مَرَاحِلَ حَيَاتِهِ الْمَاضِيَةِ مِنْ يَوْمَ لَقِيَ كَرِيمَة فِي بَيْتِ الْعِمْلاقِ ، إِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي تَرَكَهَا فِيهَا عِنْدَ الشَّاطِئِ ، عَلَى أَمَلِ الْعَوْدَةِ إِلَيْها بِثِيَابٍ جَمِيلَةٍ وَفَرَسٍ تَرْكَبُها إِلَى الْقَصر . وَكَأَنَّمَا صَحَا مِنْ كَابُوسٍ ثَقِيل ، فَصَاحَ صَيْحَةً أَدْهَشَتِ الحَاضِرِينَ وَهُوَ يَقُول :

— « كَرِيمَة ! أَيْنَ أَنْتِ ؟ هَلْ تَصْفَحِينَ عَنِّي ؟ »



ثُمَّ ارْتَمَى عِنْدَ قَدَمَيْها بَاكِيًا مُنْتَحِبًا . . .

أَمَّا السَّيِّدَةُ الشَّقْرَاءُ ، فَقَدْ تَوَارَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ عِنْدَ صَيْحَةِ أَنْوَر ، وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا السَّاحِرَةَ شَفِيعَةَ العِمْلَاق .

وَأَكْمَلَ الْقَوْمُ مِهْرَجَانَهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَفَرَح ، وَزُفَّتْ كَرِيمَة فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى أَنْوَر ، وَاسْتَمَرَّتْ الْمَآدِبُ يَوْمَيْنِ مُتَوَاصِلَيْن .

وَعَاشَ الْعَرُوسَانِ حَيَاةً سَعِيدَةً هَانِئَة ، وَسَجَّلَ التَّارِيخُ لِكَرِيمَة ، كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِ الْقَرْيَة ، حَتَّى خَلَدَ ذِكْرُهَا بَيْنَهُمْ مُنْتَقِلًا مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيل ، وَمِنْ عَصْرٍ إِلَى عَصْر .

وَعَلَى سَبِيلِ الِاعْتِرَافِ بِجَمِيلِهَا ، أُقِيمَ لَهَا تِمْثَالٌ لَا يَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ مُرْتَفِعًا فَوْقَ بَقَايَا ذَلِكَ الْقَصْرِ الْقَدِيم ، وَهُوَ يُمَثِّلُ سَيِّدَةً حَسْنَاءَ تَحْمِلُ فِي كَفِّهَا خَمْسَ كُرَاتٍ صَغِيرَة . . .

أسئلة فى القصة

١ – لماذا أطلق أهل القرية على أنور لقب شجاع ؟

٢ – كم كان عمر أنور عند بدء رحلته وكم كان عمره عند العودة؟

٣ – أين نزل أنور بعد تحطم السفينة ؟ ومن قابل أولاً ؟

٤ – كيف استطاع أنور أن ينظف الإسطبل وأن يأتى بالحصان من فوق الجبل ؟

٥ – ماذا أخذت كريمة من بيت العملاق عندما هربت منه هى وأنور؟

٦ – ما الذى منع العملاق من أن يلحق بالهاربين ؟

٧ – لماذا طلب أنور من كريمة عندما نزلا بالشاطئ أن يغيب عنها قليلاً؟

٨ – ماذا طلبت المرأة العجوز من كريمة لتسمح لها بالمبيت عندها ؟

٩ – كيف تحول كوخ المرأة العجوز إلى بيت من الذهب ؟

١٠ – ماذا كانت كريمة تقول عندما كانت تستخدم كلاً من الكرات الثلاث ؟

١١ – ما الذى منع أنور من أن يعود إلى كريمة ؟

١٢ – ماذا جرى لمركبة أنور والسيدة الشقراء وكيف تم إصلاحها ؟

١٣ – من الذى دعا كريمة إلى حفل زواج أنور ولماذا ؟

١٤ – كيف عرف أنور حبيبته كريمة ؟

١٥ – ماذا صنع أهل القرية لتخليد ذكرى كريمة ؟

١٦ – اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك .